التنمية السياسية والشراكة الديمقراطية

حسين أحمد قايد قعطبي

● من الأسس التي ترتكز عليها عملية التنمية السياسية في المجتمعات الديمقراطية انها مرتبطة بقضية الحرية عند الانسان.. باعتبار أن الحرية تشكل حقيقة وجوهر الوجود الانساني.. وأنها تقوم على نهج الديمقراطية فكراً وسلوكا.. فهي ترتكز على مفاهيمها في كل تفاصيل التنمية.. كما أنها تقترن بمفهوم أن في ارادة الانسان طاقات لا حدود لها.. فيما اذا تحررت تلك الارادة من معوقات فعلها العقلاني.. وهي عملية مستمرة ومتطورة بتطور الحضار وأدواتها.

وتهدف التنمية السياسية فيما تهدف اليه ترسيخ ممارسة الفعل الديمقراطي في الحياة العامة، واشاعة ثقافتها وقواعدها بحيث تغدو شيئاً أساسياً من متطلبات حياة الانسان المعاصر.. وتتحقق بها عملياً معاني الشراكة في شقها الديمقراطي.. اذا ما كانت في متناول الشخص العادي لأنها من حقوقه السياسية التي لا غنى له عنها.. ولا يمكن ممارسة الديمقراطية باستحقاقاتها المختلفة دون رفع وعي افراد المجتمع، وتبصيرهم بالكيفية التي يستطيعون بها الاسهام في رسم السياسات واتخاذ القرارات، والوسائل الفعالة التي تمكنهم من تحقيق مثل تلك الاهداف.. واعتقد أن وجود ديمقراطية قائمة على التعددية السياسية دون أن تلازمها تنمية سياسية ذات أثر وفاعلية، يعني تخلفاً وعدم نضج.. ربما تعطل من الاستفادة وتوظيف أقصى ما يمكن من طاقات المجتمع..وهذه التنمية كما تهتم بوعي وارادة الانسان الفرد لضمان اسهامه في شئون الحياة العامة.. فإنها تنطلق بصورة أساسية الى آليات ممارسة الديمقراطية ومنظماتها.. فالاحزاب السياسية في حاجة ماسة الى وجوب استهدافها بتلك التنمية.. وذلك للرفع من كفاءة ومستوى أدائها على أرض الواقع.. فهي أرقى حالات المجتمع التي يعول عليها أن ترسم ملامح المستقبل واتجاه المسارات وسط كم كبير من المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تتميز في عصرنا الراهن بشدة ايقاعاتها وتفاعلاتها وتعقد مكوناتها.

ومن المفيد هنا أن نشير الى أن الأحزاب التي لا تنخرط في عمليات التنمية السياسية ستجد نفسها متأخرة حتى عن الصفوف الخلفية للحياة العامة.. لا فعل لها ولا أثر ولا جمهور وستنتهي الى سلة المهملات في نهاية المطاف.. فقد وجدنا في الواقع أعضاء في أحزاب لا يعرفون الأهداف الرئيسية للأطر التي ينتمون اليها.. وغير مستوعبين لهيكلية تلك الاطر أو آليات حركتها كما يجهلون أبسط الحقوق والواجبات فيها.. ولم يمارسوا أية ديمقراطية خلالها.. أي أنهم في حالة جهل مطبق ببرامجهم السياسية وكل الأنظمة واللوائح التي تنظم تفاعلاتهم وكأنهم قطيع في حظيرة.. ووجود مثل هذه الحالات يضر بقضايا الديمقراطية وممارساتها وتطورها ومستقبلها.. فأفراد المجتمع في حاجة حضارية لأن تشملهم التنمية السياسية، والأحزاب في حاجة أشد اليها، لرفع كفاءتها وفاعليتها لأن المطلوب منها أن تقود الشارع وتؤثر فيه لا أن تكون غاياتها تحقيق حضور في المناسبات كمواجهات شكلية فقط.

● «إن الذين لا يتحركون ليس من حقهم أن ينتظروا التقدم.. والذين لا يقبلون بالمسئولية ليس من حقهم أن يتطلعوا الى الآمال»..

الزعيم الخالد جمال عبدالناصر.

هو أذان الناصرية يتردد صداه «حيَّ إلى النضال»

سأرفع رأسي بشموخ وكبرياء وسأكتبها في أنصع صفحات التاريخ «أنا ناصري».. أنتم أيضاً أيها الناصريون لكم أن تفتخروا أيضاً، وأن ترفعوا رؤوسكم عالياً، فأنتم الوحدويون قبل تشدق الوحدويين من يوم أن وحدتكم الآمال والآلام قبل الوحدة في شطري اليمن، فكنتم اعداء الديكتاتورية والقوى القبلية التقليدية والقوى التسلطية، وتوجتم نضالكم بوحدة اليمن، التي كنتم أول من غرس فسائلها وبنى اللبنة الأولى منها،.. كيف لا وأنتم من تتطلعون الى الوحدة العربية، كما تعلمتم من زعيمكم الراحل جمال عبدالناصر.

كتب/ فخر العزب

لكن.. ما لي ولهذا اليوم، خاصة وأنا أمام المؤتمر العام الـ١١ للتنظيم الوحدوي الناصري.. لهذا سأجتهد وأنا أرسم الصورة، أن أكون واقعياً قدر الامكان، على الرغم من أن الواقع مؤلم، وربما سيكون الألم قد بلغ الحد الذي يوجب أن تكون هذه دعوة للتداعي لكل من يعشق الحرية والاشتراكية والوحدة، والتي يحمل لواءها التنظيم الوحدوي الشعبي الناصري، ولهذا فأنا أرى من الضرورة بمكان أن تكون الصراحة مع النفس ومع الضمير حاضرة الى الحد الذي قد يصل الى جلد النفس وعقابها من أجل التنبه لهذا الواقع،وبالتالي العمل على تصحيحه.

والصراحة، وإن كانت مرة، إلاّ أننا كناصريين يجب أن نتعامل بها مع أنفسنا في سبيل اصلاح المنظمة الهيكلية للتنظيم والتي يجب أن تستوعب كل من يؤمن بالناصرية كفكر، ويؤمن بالافكار والمبادئ الخالدة للمدرسة الناصرية بقيادة الزعيم جمال عبدالناصر، خاصة ونحن اليوم على اعتاب المؤتمر العام الـ١١ للتنظيم كعرس ديمقراطي واستحقاق حضاري طالما دأبنا عليه وخبرنا من خلال العالم أجمع أحاديث ديمقراطيتنا التي نفخر بها كناصريين، ونحملها على رؤوسنا كتيجان نفاخر بها بين أقراننا من التنظيمات والأحزاب السياسية الأخرى، وبالتالي فإن على جميع الناصريين المشاركة في هذا الاستحقاق بفاعلية وبروح المسئولية من أجل المصلحة العليا للفكر الناصري.

هي إذاً دعوة الى أولئك الذين احبطوا وعدلوا عن المشاركة السياسية والانتماء السياسي، رغم ايماننا بالظروف التي اجبرتهم على ذلك، وهي ظروف تتعلق بالواقع العام للبلاد.

وهناك واقع داخلي للأحزاب والتنظيمات السياسية تأتي انعكاساً للواقع العام للبلاد، حيث تعاني هذه الأحزاب من أزمات داخلية تتمثل في الجانب المالي لها، وفي الهياكل التنظيمية التي لا تتوافق مع المرحلة، بالاضافة الى عدة عوامل اخرى جعلت التنظيمات السياسية عاجزة عن صنع الحدث وفعل التغيير الذي يجعلها تؤثر في الحياة السياسية للوطن.

ومعروف لدينا أن هذه العوامل قد انعكست بظلالها على اعضاء هذه التنظيمات،والذين وصل معظمهم الى مرحلة الاحباط، وبالتالي العكوف والنكوف عن الانتماء السياسي والتأصير داخل هياكل الأحزاب.

والتنظيم الوحدوي الشعبي الناصري كتنظيم سياسي يمني عريق، هو أهم هذه الأحزاب السياسية التي تعاني هذه المشكلات، بل إنه أكثر الأحزاب جدلاً كونه من أوائل الأحزاب السياسية التي تأسست في فترة المد القومي والثوري العربي وأيام الزمن الجميل لمصر عبدالناصر، وامتلك شرعيته من شرعية الفكر الناصري القائم على الحرية والاشتراكية والوحدة، ولذلك لا غرو إن كان التنظيم الناصري من أوائل القوى التقدمية التيتعرضت لطعنات القوى التقليدية والراديكالية والديكتاتورية في شطري اليمن قبل الوحدة.

وفي هذا المقام يجب أن نعترف بحقيقة نجاح السلطة في شراء بعض القيادات التي كانت لها عظمتها وتحولت الى مجرد كائنات ناطقة بعد أن وضعت نفسها في موضع انفصام لأنها تؤمن بالناصرية لكنها أجبن من أن تفخر بذلك، فخرجت هذه القيادات من الهيكل التنظيمي للتنظيم الناصري، والتحقت بأحزاب أخرى.

كما أن السلطة نجحت ايضاً في شراء بعض القيادات التي تخدمها حتى رغم احتفاظها باقنعتها الناصرية، لكن احتفاظها بمواقعها القيادية لم يكن إلاّ غلطة، واستطاعت هذه الكائنات بطريقة أو بأخرى دس الاحباط في قلوب معظم الناصريين، الذين قرروا البقاء بعيداً عن هيكلية التنظيم رغم احتفاظهم بالفكر والمبادئ الناصرية، إلاّ أن الواجب اليوم يستدعي من أوفياء التنظيم أن يقوموا بواجبهم بتطهير الجسد الناصري من الداخل، وها هي المرحلة تفرض عليهم أن يعودوا لأن روح عبدالناصر تناديهم.

في الجانب الموازي ثمة من يعمل على استغلال الاكتاف الناصرية كوسيلة للصعود والبزوغ، واستغلال ذلك لتحقيق مآرب شخصية، وما ذلك إلا لعلمهم بالثقل الذي تمتاز به القيادة الناصرية كقيادة نخبوية لفكر تقدمي، وماذا يعني أن تكون قائداً في التنظيم الناصري، حيث عمل البعض على الوصول الى اللجنة المركزية للتنظيم وامانته العامة، واستغلال هذه الثقة التي منحها اياهم اعضاء التنظيم كطريقة سريعة للوصول الى مقيل القائد العسكري أو الى ديوان الشيخ وهذا ما يجب أن يتنبه له الناصريون اليوم، لأن التنظيم الذي يقوم على ثلاثية الفكر والمبادئ والنضال، لا ينبغي لاعضائه أن يتأثروا بالاسماء المفرخة ولا بالأقنعة المزيفة ولا بالتاريخ الكاذب لأن الناصرية تبقى ممارسة وفكراً وعملاً، وليست مجرد شعارات يتم التنظيم والثرثرة بها هنا وهناك.

ربما تكون الأزمة المالية التي يعاني منها التنظيم هي أهم الأزمات التي نعاني منها كناصريين بعد أن تنكر البعض لضمائرهم، واستغلوا التنظيم الناصري كوسيلة للاسترزاق والاستثمار، متنكرين بذلك لدماء الشهداء الذين ضحوا بأغلى ما يملكه الانسان لايمانهم بالمبادئ العظيمة التي يعمل التنظيم من أجل تحقيقها.

وربما أن هولاء المتاجرين بأموال التنظيم هم أخطر من يهدد التنظيم اليوم، لأنهم خانوا الأمانة، وخانوا العهد، وأضحوا مجرد كائنات مقنعة بقناع الوطنية والقومية العربية، مع أن ضمائرهم قد أصبحت كائنات نتنة.

فالتنظيم الذي يؤمن بالاشتراكية كوسيلة لتقاسم الثروة لن يغفر للرأسماليين الجدد أن يجعلوا من التنظيم وسيلة للاسترزاق على حساب دماء الشهداء ونضالات رفاق الميدان، وهؤلاء لن يحاكمهم أحد إلاّ التنظيم القوي بقوة أعضائه، والذين إن لم يشارك واحدهم في موتمره العام فهو يشارك هذه الكائنات جرائمها.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نعيد حساباتنا في اللائحة المنظمة للهيكل التنظيمي، والتي لم تعد صالحة لقيادة تنظيم شعبي نتيجة لوضعه العديد من الحواجز بين الاعضاء وبين القيادة من خلال وجود وحدات ومراكز ومناطق وفروع ولجنة مركزية تتربع عليها أمانة عامة بقيادة الأمين العام للتنظيم، وهو التنظيم الذي يفترض أن يكون شعبياً ومتغلغلاً في أوساط الجماهير، وعلى ذلك كان من الضرورة بمكان تعديل النظام الداخلي للتنظيم بحيث يكون مرناً ويقضي على هذه الفجوة التي تحول بين القيادات والقواعد، وكذلك تعديل المواد التي تعيق مشاركة الشباب في مراكز قيادية، لأن هذا التنظيم هو بالأساس تنظيم شاب قاده الشباب في أبهى مراحله، وسطروا أنصع صفحاته النضالية، وقدموا أرواحهم فجعلوا من أنفسهم شموعاً تضيء الطريق نحو المستقبل.. وعلى ذلك نرى، وعلى مر الزمن، أن التنظيم الناصري يقوى بقوة شبابه، ويضعف بضعفهم.. فهم عضلاته الجسدية، ولا روح له إلا أرواح قادته وشهدائه العظماء.

فالدعوة الى الوفاء اليوم ونحن على وشك الدخول في مؤتمرنا العام، تفرض علينا كناصريين أن نشارك في المؤتمر وبقوة، وان نعمل على تلبية الدعوة الناصرية كي نكون اعضاء فاعلين في الاصلاح والتغيير، وهو الأمر الذي يفرضه واقع التنظيم اليوم.. وعلى هذا ليس من حق أحد بعد اليوم أن يتحدث باسم الناصرية وهو ينكف عن النضال الأسمى، المتمثل في المشاركة في الموتمر العام، ليس من أجل المشاركة، بل لأن هذا الحدث العظيم هو الذي ينصب القادة الذين سيعملون على الاصلاح والتغيير ورسم الطريق نحو المستقبل المشرق، واعادة الايام الجميلة للناصرية في اليمن، حيث قام الناصريون باشعال شرارة الثورة وقيادة حركة التصحيح والانتفاضة ضد قتلة المشروع المدني الحديث.

اننا اليوم امام هذه التحديات نطلق هذه الشهقة وهذا النداء الى كل أولئك الذين تجيش في صدورهم هتافات العزة والكرامة وروح العنفوان، ونطلب منهم أن يدركوا ان نكوثهم عن المشاركة في المؤتمر العام هو خيانة للمبادئ الناصرية التي آمنوا بها، وعلينا جميعاً أن نناضل من أجلها برغم كل السلبيات التي سنكون وحدنا اداة تطهير التنظيم منها، وإلاّ فإن الجرم سيكون أكبر.. فالمسئولية عظيمة، لكن الناصري هو فقط من يقبل أن يتحملها، والناصري أيضاً هو من يقرر اليوم أن يكون اداة للبناء لا معول هدم، ووسيلة للتغيير لا عامل احباط وخنوع، وقبل هذا وذاك لا يتحدث إلا بلغة الفعل لا لغة القول فقط.

إن دعوة النضال اليوم تستدعي من قادة التنظيم واعضائه أن يدخلوا المؤتمر العام بالبرامج التي يتطلعون الى العمل على تحقيقها، وأن يكفوا عن معايير الشخوص والاسماء والتنظير والشللية المقيتة، لأن المرحلة تستدعي أن يتنصب في قمة الهرم التنظيمي من يعيدالى التنظيم مجده، ويعمل وفقاً لاستراتيجية ادارية تحدد كيف يجب أن يمر التنظيم الى الأمام، وكيف ينبغي للتنظيم أن يعتمد على اشتراكات الاعضاء وعلى التمويل الذاتي بعيداً عن استجداء بعض المخصصات المالية التي تمنحها السلطة، لأن السلطة لا يمكن أن تدعم معارضيها، فكيف وهي تدرك أن التنظيم الناصري وحده من يهددها نتيجة لماضيه المشرق والناصع البياض، في حين أنها تملك أوراقها التي ستخدمها ضد الآخرين، الذين شاركوها يوماً في فسادها وافسادها، وتدرك ايضاً أن ثروة التنظيم التي لا تنضب هي المد البشري النخبوي الذي يحتويه التنظيم من حاملي الفكر وصانعي الرأي وأرباب القرار.

فطوبى لتنظيمنا عرسه الديمقراطي الذي يجمع ولا يشتت من أجل ارتقاء قمم المجد،وهي القمم التي لا تليق إلا بأحفاد جمال عبدالناصر.

---

* عن الشارع بتصرف